أبو محمد عبد الحق الإشبيلي الشهير بابن الخراط وإسهاماته العلمية (510- 582هـ)

ABDUL HAQ AL ISHBILI FAMOUS WITH IBN-AL KHARRAT AND HIS SCIENTIFIC CONTRIBUTIONS (510 – 582h).

Dr. Boudaa NEDJEDI **الدكتور: بوداعة نجادي**

University of Saida **جامعة سعيدة**

boudaa.nedjadi@gmail.com

***Accepted*:**	**قُبل للنشر: 2018/10/07**	***Received*:**	**استلم: 2018/03/29**

ملخص:

تناولنا في هذا المقال دراسة شخصية بارزة من الشخصيات التي أسهمت بعقلها وقلمها في تطور الحركة الفكرية في العالم الإسلامي عامة وفي المغرب الإسلامي خاصة خلال القرن السادس الهجري، ألا وهو أبو محمد عبد الحق الشهير بابن الخراط الإشبيلي الأصل والبجائي الموطن، حيث عرفت بجاية في عهد هذا العلامة ازدهارا ثقافيا لم تشهده من ذي قبل، وهذا بواسطة إسهام علمائها على وجه العموم وابن الخراط على وجه الخصوص الذي شارك في هذا التطور العلمي بالقسط الوفير وخاصة في العلوم الدينية (الحديث والفقه) من خلال مصنفاته العديدة المعلومة وغير المعلومة (المؤلفات التي تعرضت للتلف والضياع) والتي ذاع صيتها وعلا ذكرها ليس بالمغرب فحسب بل حتى بالمشرق، وقد ولي الخطابة في جامعها الأعظم، وكانت له مكانة علمية واجتماعية عالية بين الناس، وتميز بأخلاق فاضلة، وأثنى عليه العلماء والمؤرخون، وقد ترك لنا علما ما زلنا إلى يومنا هذا ننهل منه.

الكلمات المفتاحية: ابن الخراط؛ الإسهامات؛ الثقافة؛ العلوم؛ بجاية.

Abstract:

This article studies one of the great figures that contributed with its mind and pen in the development of the intellectual movement in the Islamic World in general and the Islamic Maghreb in particular during the sixth Century Hijri. This figure is Abu Muhamed Abdul Haq known as Ibn Al-kharrat from Seville and who lived in Bejaia. This city witnessed during his time a cultural flourishing due to his scientific contributions especially in the field of religious sciences-Hadith and Fiqh. Ibn Al-kharrat has several known and unknown works, known not only in the Maghreb but even in the Middle East. Because of his high social and scientific status, he was appointed the preacher of the Great Mosque. He was distinguished for his virtuous morals and was praised by several scientists and historians. This prominent scholar has left a great bulk of knowledge to study and explore.

Keywords : *Ibn Al-kharrat; Contributions; Culture; Sciences; Bejaia.*

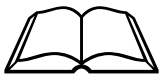

مقدمة:

ازدهرت الحياة الفكرية بالمغرب والأندلس خلال القرن السادس الهجري، فأنتجت العديد من العلماء الذين ساهموا في تطور العلوم في جميع تصانيفها من علوم نقلية وعقلية، وظهر هذا جليا في حواضر المغرب الإسلامي الشهيرة التي كانت مركزا للإشعاع العلمي، ومنها مدينة بجاية التي عرفت هي الأخرى بروز علماء أجلاء ومن هؤلاء العلماء نجد العلامة ابن الخراط الإشبيلي، والذي هو موضوع بحثنا هذا، إذ سنسلط الدراسة على هذه الشخصية متطرقين إلى نسبه ومولده وشيوخه ونشأته العلمية، ومعرجين إلى ذكر حياته الاجتماعية ومكانته العلمية، ومحاولين إبراز إسهاماته العلمية ومؤلفاته، والسؤال الذي يطرح نفسه ما مدى مساهمة ابن الخراط الإشبيلي في تطور الحياة الفكرية بالمغرب الإسلامي من خلال إنتاجه الفكري ؟

أولا: نسبه ومولده:

هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي، يعرف بابن الخراط ، أصله[1] من إشبيلية[2]، ولد في ربيع الأول سنة 510هـ[3].

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح بشار عواد معروف ومحي هلال الرحان، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1984م، ج21، ص198، ابن العماد: شذرات من الذهب في أخبار من ذهب، تح عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 1993م، ج6، ص444.

(2) إشبيلية: تسمى حِمص أيضا ، تقع غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا، بجانبها نهر عظيم ،وهي مدينة كبيرة من أعظم مدن الأندلس، كانت عاصمة مملكة بني عباد، اشتهرت بزراعة القطن، ينظر إلى الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1، ص195، وسقطت على يد النصارى في سنة 646هـ ، ينظر إلى ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تح عبد السلام الهراس، دت، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995م،ج3 ، ص160.

(3) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121، الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م، ص44، ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح مأمون بن يحي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، ص277، الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص198.

ثانيا: شيوخه

نشأ بإشبيلية وأخذ من شيوخها[1]، وحينما ظهرت فتنة سقوط الدولة المرابطية غادر إشبيلية ونزل بلبلة ومكث بها مدة[2]، ثم خرج منها 549هـ بسبب استيلاء الموحدين عليها وقتلهم الآلاف من أهلها ومنهم شيوخه مما جعله يميل إلى المرابطين[3]، وبعد هذه الحادثة توجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولكنه لم يكتب له ذلك بل استقر ببجاية بعد 550هـ[4]. ولم تذكر المصادر الأسباب الحقيقية التي منعته من الذهاب إلى الحج.

ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلم خليل بن إسماعيل الذي تفقه عنه[5] بلبلة[6]، وأبي الحسن شريح بن محمد[7]، وأبي حفص عمر بن أيوب (ت545هـ)[8]، وأبي الحكم بن برجان[9]، وأبي القاسم القرشي، وأبي بكر بن مدير،

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، 2007م، ص184.

(2) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121.

(3) عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص184.

(4) ابن الأبار: المصدر السابق ، ج3، ص121.

(5) عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص184.

(6) لبلة: تعرف بالحمراء، تقع غرب قرطبة ، بينها وبين قرطبة على طريق إشبيلية 05 أيام ومسافة 44 فرسخا، وبين إشبيلية 42 ميلا، وهي مدينة برية بحرية، تميزت بكثرة الثمار والزرع والشجر. ينظر إلى الحموي: المصدر السابق ، ج5، ص10.

(7) هو أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني، من أهل إشبيلية، ولد سنة 451هـ ، كان من جلة المقرئين، أديبا خطيبا بليغا، محدثا حافظا، تتلمذ على يده ابن بشكوال، وتوفي بإشبيلية سنة 539هـ، ينظر إلى ابن بشكوال:الصلة، تح إبراهيم الأياري، ط1، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ودار اللبنانية، بيروت، 1989م، ج1، ص366، ابن الزبير : صلة الصلة، تح شريف أبو العلا العدوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ج1، ص261،260.

(8) ابن الأبار : المصدر السابق، ج3، ص152.

(9) هو أبو الحكم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي، يعرف بابن برجان، من أهل إشبيلية، وأصله من افريقية، كان عارفا بالحديث، والقراءات، متحققا بعلم الكلام والتصوف، وله مؤلفات نبيلة ومنها كتاب شرح أسماء الله الحسنى وكتاب تفسير القرآن ولم يتمه ، وتوفي بمراكش سنة 530هـ، ينظر ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص21.

وأبي الحسن طارق بن يعيش، وأبي القاسم النفطي، وأبي محمد المقري[1]، وأبي الأصبع عبد العزيز بن علي المعروف بالطحان[2] (ت559هـ)[3] ، وأبي القاسم بن عطية الذي سمع منه صحيح مسلم[4]، وقد حدث ابن الخراط عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي (ت597 أو 600هـ)[5].

ومن بلاد المشرق كتب إليه محدث الشام أبو القاسم بن عساكر[6]، ومن العلماء المشهورين الذين لقيهم ابن الخراط منهم الشيخ أبي مدين شعيب الصوفي[7]، وأبي جعفر أحمد[8] بن يحي الضبي[9] الذي قال عنه : "قرأت عليه بعضها – مؤلفاته – وناولني أكثرها"[10]، والفقيه أبي زكريا يحي بن عبد الرحمن المعروف بالأصفهاني[1] (ت608هـ)[2]،

---

(1) ابن الأبار: المصدر نفسه ، ج3، ص121.

(2) هو أبو الأصبغ (وأبو محمد) عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمة بن عبد العزيز السماتي، يعرف بالطحال وبابن الحاج، من أهل إشبيلية، انتقل إلى فاس سنة 554هـ ، وبعدها رحل إلى المشرق وبقي هناك إلى أن وفاته المنية بحلب، كان أستاذا عارفا بالقراءات، وله مؤلفات مفيدة منها كتاب سماه "شعار الأخيار وهجيري الأبرار في التهليل و الاستغفار"، ينظر إلى ابن الأبار: المصدر نفسه، ج3، ص94،93.

(3) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دت، دار صادر، بيروت، 1988م، ج2، ص634.

(4) الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص200.

(5) ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص307.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص121.

(7) هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري ، أصله من إشبيلية، رحل إلى فاس، ثم نزل بتلمسان، وبعدها استوطن بجاية في أعومه الأخيرة من حياته، ويعد شيخ الصوفية في زمانه، و ذكروا أنه تخرج على يده ألف تلميذ، وتوفي بتلمسان سنة 594هـ ، وقيل سنة 590هـ وقيل سنة 588هـ ، ينظر إلى ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ج2، ص119- 121.

(8) هو أبو جعفر أو أبو العباس أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، ومن شيوخه أبي عبد الله بن حميد وابن عبيد الله، وابن الفخار، وابن القصير، وابن كوثر، زار بجاية والإسكندرية ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، كان بارع الخط ، محترفا بصناعة الوراقة، وكتب بخطه علما كثيرا، وتوفي بمرسية سنة 599هـ ، ينظر ابن الأبار: المصدر السابق ، ج1، ص84،83.

(9) المقري: المصدر السابق ، ج2، ص381.

(10) الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ج2، ص508.

وأجاز له ابن الخراط وقد حظه على الوعظ والتذكير فعمل بِنصيحته[3] ، والفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد الخشني (ت في النصف الأول من القرن 7هـ)[4].

وحسب قول عبد المنعم القاسمي صاحب كتاب "أعلام التصوف في الجزائر" أن ابن الخراط تأثر بأفكار أبي حامد الغزالي[5] وهذا بقوله: "وذلك بتبني أفكار حجة الإسلام الإمام الغزالي ونشر علومه وكتبه كالإحياء والمقصد الأسنى وغيرها من المؤلفات"[6].

ومما سبق ذكره من الشيوخ نلحظ أن ابن الخراط تلقى العلوم من كبار العلماء، فحصل الكثير من المعارف، وانتفع بها في تكوينه العلمي، وربما جعله يتأثر بشخصية شيوخه، ويتمنى أن يبلغ مبلغهم العلمي، فكانوا له سندا في التحصيل العلمي، وحافزا في توسيع ثقافته.

---

(1) هو يحي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله القيسي، أصله من دمشق، ولد547هـ ، وقيل سنة 548هـ ، قدم إلى المغرب ودخل بجاية وأجاز له ابن الخراط، ثم رحل إلى الأندلس وسكن غرناطة مدة، فقيه شافعي المذهب ، ومحدث، وعالم بأصول الفقه والتصوف، ومن مؤلفاته "الروضة الأنيقة"، وكانت وفاته بغرناطة، ينظر إلى ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق ، ج2، ص324- 326.

(2) الغبريني: المصدر السابق ، ص254، المقري: المصدر السابق ، ج3، ص69.

(3) ابن الأبار: المصدر السابق،ج4، ص196.

(4) الغبريني: المصدر السابق ، ص253.

(5) الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد، الملقب بزين الدين، يعرف بالغزالي نسبة لأبيه الذي كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه، من أهل طوس، ولد سنة 450هـ ، شافعي المذهب، تلميذ إمام الحرمين، نُدِبَ للتدريس بنظامية بغداد سنة 484هـ ، زار بلاد الحجاز سنة 488هـ فحج، ثم عاد إلى دمشق فسكنها وأقام بها عشر سنين يصنف الكتب ومنها كتابه المشهور المسمى "إحياء علوم الدين"، ثم غادرها متوجها إلى القدس وبعدها الإسكندرية، ثم قفل إلى بلده طوس ليستقر به المقام فعكف على التصنيف ونشر العلم، وكان مستبحرا في العلم ، وتوفي سنة 505هـ وعمره 55 سنة ، ينظر ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص18- 22، الذهبي: المصدر السابق ، ج19، ص322- 346.

(6) عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص185.

ثالثا: حياته الاجتماعية

أما عن حياته اليومية يروي لنا أبو جعفر أحمد الضبي في كتابه "بغية الملتمس" أنه كان يقسم يومه إلى أقسام حيث يُقرئ طلابه من بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى، ثم يصلي نافلته وبعدها يذهب إلى بيته ليتفرغ للتأليف إلى وقت صلاة الظهر، وبعد أدائها يباشر في التدريس إلى غاية صلاة العصر، ثم بعد أدائها يخرج لقضاء حوائج الناس[1].

ويخبرنا الغبريني عن ليله كيف كان يقضيه حيث يذكر بأنه كان يقسم ليله أثلاثا، ثلثا للقراءة، وثلثا للعبادة، وثلثا للنوم، وكان كثير الجلوس مع صاحبه الفقيه أبي علي المسيلي[2].

وهذا ما يدل على أن ابن الخراط لم يكن يضيع وقته سواء في النهار أو الليل بل كان يستغله استغلالا دقيقا في التأليف والتدريس و نفع الناس، وعبادة الله، ومجالسة العلماء، وهذه ميزة الحياة الاجتماعية للعلماء في ذلك العصر.

رابعا: مكانته العلمية

كان فقيها حافظا عارفا بالحديث وعلله بأسماء رجاله ونقلته وأوهامه لا يخلو من مثلها الحفاظ، وفوق هذا كان مشاركا في الأدب ناظما للشعر، وقد ولي الإمامة والخطابة بجامع بجاية[3]، وقد اعتبره ابن عساكر من أكبر المحدثين المعاصرين له بالمغرب[4]، وعده الزركلي من علماء الأندلس[5].

ووصفه الغبريني بأنه:" الإمام الشيخ الفقيه الجليل، المحدث الحافظ المتقن المجيد، العابد الزاهد، القاضي الخطيب"[6]، وقال عنه أبو مدين شعيب مثنيا عليه وواصفا له بقوله:" كان الشيخ جمال الحفاظ، زين العلماء، عماد

(1) الضبي: المصدر السابق، ج2، ص508، عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص185.
(2) الغبريني: المصدر السابق، ص43.
(3) ابن الأبار: المصدر السابق ، ج3، ص121.
(4) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص185.
(5) الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م، ج3، ص281.
(6) الغبريني: المصدر السابق ، ص41.

الرواة، رأس المحدثين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي الخطيب المحدث"[1]، والمقري بقوله :"العالم الكبير الشهير صاحب التآليف"[2]، والذهبي بقوله:"الإمام الحافظ البارع المجود العلامة"[3].

وعن صفاته الخلقية أنه اتصف بأخلاق حسنة فاضلة[4]، وكان قانعا متعففا[5] ملتزما بالسنة، متقللا من الدنيا، موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع[6]، وكان يتجنب المشاركة في الحياة السياسية وتولي المناصب العليا في الدولة[7]، وهذا ربما ليتفادى التقرب إلى أمراء وولاة الدولة.

لقد وصفه العلماء والمؤرخون بأحسن الأوصاف، وأثنوا عليه كثيرا وبالغوا في الثناء عليه، وهذا لما بلغه من مكانة علمية عالية.

خامسا: إسهاماته العلمية

تخرج على يده العديد من التلاميذ، وقد أخذ عنه محي الدين أبو بكر محمد المعروف بابن عربي[8] الطائي[9]، حيث يذكر ما تعلمه من ابن الخراط بقوله :" ومن شيوخنا الأندلسيين أبو محمد عبد الحق...، حدثني بجميع مصنفاته في الحديث، وعين لي من أسمائها تلقين المهتدي، والأحكام الكبرى، والوسطى، وكتاب التهجد، وكتاب العقبة، ونظمه ونثره،

---

(1) المصدر نفسه ، ص42.
(2) المقري: المصدر السابق ، ج4، ص315.
(3) الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص198.
(4) الغبريني: المصدر السابق، ص43.
(5) ابن العماد: المصدر السابق ، ج6،ص445.
(6) ابن الأبار: المصدر السابق ، ج3، ص121.
(7) عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص185.
(8) هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي، لقب بمحي الدين، بعرف بابن عربي، أصله من مرسية، من أهل إشبيلية، أديب بارع وكاتب بليغ، نظم الأشعار وكتب بالأندلس عن الأمراء، رحل إلى المشرق فحج، ثم استقر بدمشق، مال إلى التصوف، صنف الكثير من المصنفات تفوت الإحصاء، ومقالات متعددة تتجاوز الحصر، توفي بدمشق سنة 637هـ وقيل سنة 638هـ ، ينظر إلى ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، م4، ص539- 543.
(9) المقري: المصدر السابق ، ج2، ص162.

وحدثني بكتب الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم"[1]، وأخذ عنه وسمع منه الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد التميمي[2]، وروى عنه أبي عبد الله محمد بن يخلف بن يوسف الجزائري (ت606هـ)[3]

ومن تلاميذه أيضا أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي (ت القرن7هـ) الذي قال عنه: "وكان شيخنا أبو محمد عبد الحق كثير الإجلال له والتعظيم لقدره" [4]، وأبي محمد بن عثمان المعروف بابن يقيميس (ت608هـ) الذي لقيه ببجاية سنة 575هـ وأخذ عنه مختصره في الأحكام وسمع منه[5]، أخذ عنه أبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود المعروف بالخشني (ت604هـ) ببجاية وقد قرأ عليه كتاب السير[6]، وأبي الحكم مروان بن عمار (ت610هـ)[7]، الذي سمع من ابن الخراط[8]، وأبي محمد عبد الله بن أحمد البجائي المعروف بابن الخطيب (ت620هـ)، حيث سمع منه بعض تآليفه في الرقائق[9] ، وروى عنه أبي عمران موسى بن عبد الرحمن الغرناطي المعروف بابن السخان (كان حيا سنة 628هـ)[10]، وأخذ عنه الكثير من أهل الحديث والتصوف ومنهم علي بن عتيق الأنصاري (ت598هـ)[11]، ومحمد بن عبد الرحمن التجيبي (ت610هـ)، ومحمد بن عبد الله الأنصاري (ت621هـ)[1].

---

(1) نفسه، ص164.

(2) الغبريني: المصدر السابق، ص244.

(3) ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص162.

(4) الغبريني: المصدر السابق ، ص282.

(5) ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص162.

(6) ابن الزبير: المصدر السابق، ج3، ص49-51.

(7) هو أبو بكر مروان بن عمار بن يحي، من أهل بجاية، أخذ ببجاية عن ابن الخراط ، وبفاس عن أبي ذر الخشني، وبسبتة عن أبي محمد الحجري، ثم رحل إلى الأندلس وأخذ من علمائها وأجازوا له، كان أديبا نبيها ، حسن الخط، جيد الضبط ، مشاركا في علوم أخرى، ينظر إلى ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، م5، ص277، ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص187.

(8) الغبريني: المصدر السابق ، ص321.

(9) ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص307.

(10) المصدر نفسه، ج2، ص181.

(11) هو علي بن عتيق بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن مؤمن الأنصاري الخزرجي، أصله من قرطبة، سكن في آخر حياته مدينة فاس، كانت له رحلة إلى المشرق سنة 560هـ ، فحج سنة 561هـ ، ودامت رحلته أكثر من عامين، لقي العديد

وأجاز للكثير من طلبة العلم ومنهم أبو علي الحسن المعروف بابن الرهبيل (ت585هـ) سنة 577هـ[2]. ومما سبق ذكره من التلاميذ يدل على أن ابن الخراط ساهم في تكوين هؤلاء التلاميذ تكوينا علميا، إذ أصبحوا بعد ذلك علماء، حيث أنهم اقتدوا بشيخهم – ابن الخراط– في الخلق الحسن وحب العلم وتأليف الكتب والانضباط والاجتهاد.

سادسا: مؤلفاته

لما استقر ابن الخراط ببجاية نشر بها علمه[3] وانكب على التأليف وتصنيف الكتب[4] ، فألف الكثير من المؤلفات وقد أثنى عليها ابن الأبار، وأبو جعفر أحمد الضبي[5]، وقال عنها الغبريني بأنها:" تأليف جليلة نبل قدرها، واشتهر أمرها، وتداولها الناس رواية وقراءة وشرحا وتبيينا "[6]، وانتفع الطلبة بتصانيفه حتى وصل بهم الأمر أنهم كانوا يقرؤون كتبه عند قبره وهذا ربما وجه من وجوه التشكر له بما قدمه لطلبة العلم ومن مؤلفاته :

كتاب في الحديث "الأحكام الكبرى"[7] وكتاب "الأحكام الصغرى"، ذكرهما ابن الأبار في التكملة[8]، والغبريني في عنوان الدراية[9]، وابن فرحون في الديباج[1] ، والمقري في نفح الطيب[2]، وابن العماد في شذرات[3]، والذهبي في سير

من العلماء هناك وأخذ عنهم وأجازوه له، ومنهم ابن الخراط الذي أكثر عنه بالأندلس وبجاية، وكان محدثا راويا، أديبا شاعرا، بارعا في علم الكلام والطب، وكانت وفاته بفاس، ينظر إلى ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، م3، ص216- 222.

(1) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص185.

(2) المقري: المصدر السابق ، ج2، ص510.

(3) الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص198.

(4) الغبريني: المصدر السابق ، ص41.

(5) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121، الضبي: المصدر السابق، ج2، ص508.

(6) الغبريني: المصدر السابق، ص42.

(7) كتاب الأحكام الكبرى : هو عبارة عن آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال الصحابة مرتبة حسب الفقه وهذا ليتم استنباط الأحكام منها بسهولة، ينظر إلى عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186.

(8) ابن الأبار: المصدر السابق ، ج3، ص121.

(9) الغبريني: المصدر السابق ، ص42.

سير أعلام النبلاء[4]، وكان هذان الكتابان أكثر تداولا بين الناس، مع كتاب "العاقبة"[5]، وقال ابن سعيد عن كتاب "الأحكام" أنه: "مشهور متداول القراءة"[6]، وهناك بعض المصادر التاريخية تذكر كتاب آخر في الأحكام بعنوان "الأحكام الوسطى" كالذهبي الذي أثنى عن هذا الكتاب بقوله:" وسارت بأحكامه الصغرى والوسطى الركبان"[7]، وذكر الفقيه أبو محمد بن عبادة[8]، أن ابن الخراط ألف كتابا آخر في الأحكام في الحديث وكان كتابا كبيرا وهو أضعاف الأحكام الكبرى[9]، وذكر الزركلي هذه الكتب باسم "الأحكام الشرعية" وأنها ثلاثة كتب كبرى ووسطى وصغرى[10].

وقد رد أبو الحسن علي المعروف بابن القطان[11] على كتاب الأحكام الكبرى سماه " الوهم والإيهام فيما وقع من الخلل في الأحكام الكبرى لعبد الحق" في مجلدين، ناقش فيه العلل والجرح والتعديل[1]، وقد تم شرح كتاب" الأحكام

---

(1) ابن فرحون: المصدر السابق ، ص277.

(2) المقري: المصدر السابق ، ج2، ص164.

(3) ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص444.

(4) الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص199.

(5) الغبريني: المصدر السابق، ص43.

(6) المقري: المصدر السابق ، ج3، ص180.

(7) الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص199.

(8)- هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة، من أهل القلعة، أخذ عن أبي زكريا اللفنتي، وأبي زيد اليزناسي، وأبي العباس المليانى، وسواهم، فقيه ومحدث ومؤرخ، حافظ للمذهب المالكي وللتاريخ، تصدر للتدريس بالجامع الأعظم، ومن تلاميذه أبو العباس الغبريني وتوفي سنة 669هـ، ينظر الغبريني: المصدر السابق، ص65، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص216، مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تع عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج1، ص286،287.

(9) الغبريني: المصدر السابق، ص43.

(10) الزركلي: المصدر السابق، ج3، ص281.

(11) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحي بن محمد بن يحي بن إبراهيم بن خلصة بن سماحة الحميري الكتامي، يعرف بابن القطان، من أهل فاس، استوطن مراكش، ولد سنة 562هـ ، برع في علم الحديث وصنف فيه عدة مصنفات وله مشاركة في

الصغرى" من قبل عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن بزيزة (ت662هـ)[2]، وشرحه بعده أيضا ابن مرزوق الخطيب[3]، وانتصرا لهذا الكتاب أحد تلاميذ ابن الخراط وهو محمد بن حماد الصنهاجي الذي ألف كتابا سماه "الإعلام بفوائد الأحكام"، وقد بين فيه أهمية كتاب – "الأحكام الصغرى"– شيخه [4].

وكتاب " الجمع بين الصحيحين" ذكره ابن الأبار[5]، وابن فرحون[6]، وابن العماد[7]، والذهبي الذي قال عنه أنه:" عمل الجمع بين الصحيحين بلا إسناد على ترتيب مسلم، وأتقنه، وجوده"[8]، ويقع في سفرين[9].

وكتاب " الجمع بين المصنفات الستة"، ذكره ابن الأبار[10]، وابن فرحون[11]، وابن العماد[12].

وكتاب "المعتل من الحديث"، ذكره ابن الأبار[13]، وابن فرحون وهو قدر كتاب مسلم[14].

الأدب، نال مكانة مرموقة عند الخلفاء الموحدون وخاصة عند الخليفة المنصور، وقد ولي رئاسة الطلبة، وتوفي بسجلماسة سنة 628هـ ، ينظر إلى ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، م5، ص17- 53.

(1) الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص200.

(2) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186.

(3) المقري: المصدر السابق، ج5، ص418.

(4) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186

(5) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121.

(6) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277.

(7) ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص444.

(8) الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص199.

(9) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص185.

(10) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121.

(11) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277.

(12) ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص444.

(13) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121.

(14) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277.

وكتاب "تلقين الوليد"، ذكره ابن الأبار[1]، وابن فرحون ويقع في مجلد صغير[2]، وأورده المقري باسم "تلقين المهتدى"[3]، والبغدادي باسم "تلقين المبتدي"[4].

وكتاب "المرشد" وهو كتاب في الحديث أكبر من صحيح مسلم، يحتوي على أحاديث مسلم كلها ، وما زاد البخاري على مسلم، وأضاف أحاديث حسان وصحاح من الكتب الأخرى[5].

وكتاب "الجامع الصحيح"، وقد نُهب أثناء الهجوم على بجاية، وكتاب بيان الحديث الذي نهب منه هو الآخر[6].

وكتاب"الرقائق المخرجة من الصحاح"، ذكره ابن الأبار[7]، وأورده ابن فرحون على أنه كتاب في الرقائق فقط دون ذكر عنوانه [8].

وكتاب "التهجد"، ذكره ابن الأبار[9]، والغبريني[10]، والمقري[11]، وأورده ابن فرحون باسم "الصلاة والتهجد" ويقع في مجلد واحد [12]، وقد تم نشره بالأندلس من قبل تلميذه محمد بن جعفر الأندلسي (ت632هـ)[13].

وكتاب "فضل الحج"، ذكره ابن الأبار[1]، وأورده ابن فرحون باسم "فضل الحج والزيارة" [2]، وهو كتاب في الزهد[3].

---

(1) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121.
(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277.
(3) المقري: المصدر السابق، ج2، ص164.
(4) البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين واثار المصنفين، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص503.
(5) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186.
(6) المرجع نفسه، ص187.
(7) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121.
(8) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277.
(9) ابن الأبار: المصدر السابق ، ج3، ص121.
(10) الغبريني: المصدر السابق، ص43.
(11) المقري: المصدر السابق، ج2، ص164.
(12) ابن فرحون: المصدر السابق ، ص277.
(13) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186.

وكتاب "التوبة"، ذكره ابن الأبار[4]، وابن فرحون ويقع في مجلدين[5].

وكتاب "معجزات الرسول" صلى الله عليه وسلم ويقع في مجلد واحد[6].

وكتاب "العاقبة"، ذكره ابن الأبار[7]، وذكره المقري[8]، وأوردها الغبريني باسم" العاقبة في علم التذكير"[9]، وأشار إليه ابن فرحون حيث ذكر أن هذا الكتاب يحوي على ذكر الموت وما بعده[10]، وذكره الذهبي بأنه كتاب في الوعظ والزهد[11] والتصوف حيث اعتمد عليه الثعالبي في تأليف كتابه المسمى"العلوم الفاخرة" [12]، وكان هذا الكتاب أكثر تداولا بين الناس[13].

وكتاب "مقالة الغنى والفقر"، ذكره ابن الأبار[14]، وابن فرحون[15].

---

(1) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277.

(3) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186.

(4) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121.

(5) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277، عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186.

(6) ابن فرحون: المصدر نفسه، ص277.

(7) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121.

(8) المقري: المصدر السابق، ج4، ص328.

(9) الغبريني: المصدر السابق، ص42.

(10) ابن فرحون: المصدر السابق ، ص277.

(11) الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص199.

(12) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186.

(13) الغبريني: المصدر السابق، ص43، عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186.

(14) ابن الأبار: المصدر السابق ، ج3، ص121.

(15) ابن فرحون: المصدر السابق ، ص277.

وكتاب " الواعي"، وهو تأليف في اللغة ويقع في عدة أسفار، ذكره ابن الأبار وأثنى عليه بقوله :" كتاب حافل ضاهى به كتاب الغريبين للهروي"[1]، وأورده الغبريني باسم "الحاوي" وأنه يقع في ثمانية عشر مجلدا[2]، وأشار إليه ابن فرحون بأنه كتاب في اللغة دون ذكر عنوانه، وأنه يقع في خمسة وعشرين جزءا[3]، وقيل في 18 سفرا[4]، وذكره ابن العماد باسم "الغريبين في اللغة"[5] وربما هذا وهم من ابن العماد بخصوص تحديد عنوان الكتاب.

وكتاب الأنيس في الأمثال والمواعظ، والحكم، والآداب من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين" وكتاب "المنير"[6]، وكتاب "تهذيب المطالب" [7]. وقد ألف كتابا يحوي شعره وكان هذا الشعر كله في الزهد وفي أمور الآخرة[8].

وله اختصارات حيث أنه اختصر كتاب الرشاطي في الأنساب ذكره ابن الأبار[9]، والغبريني الذي قال عنه أنه :" أحسن من الأصل " [10]، و أورده ابن فرحون على أنه يقع في جزئين[11]، واختصر كتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب ذكره ابن الأبار[12]، وابن فرحون[13].

وله مصنفات أخرى لم تذكرها المصادر التاريخية ومنها كتاب التكملة لابن الأبار ربما هذا الأخير تجنب الإطالة في ذكرها أو لم يعرف عناوينها كونه لم يطلع عليها، فعبر عنها بقوله: " إلى غير ذلك من تصانيفه ومجموعاته"[1]، وأكد

(1) ابن الأبار: المصدر السابق ، ج3، ص121.
(2) الغبريني: المصدر السابق، ص43.
(3) ابن فرحون: المصدر السابق ، ص278،277.
(4) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186.
(5) ابن العماد: المصدر السابق ج6، ص444.
(6) ابن فرحون: المصدر السابق ، ص278.
(7) البغدادي : المرجع السابق،ج1، ص503.
(8) الغبريني: المصدر السابق، ص43.
(9) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121.
(10) الغبريني: المصدر السابق، ص43.
(11) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277.
(12) ابن الأبار: المصدر السابق ، ج3، ص121.
(13) ابن فرحون: المصدر السابق ، ص277.

هذا الزركلي بقوله :" وغيرها – المؤلفات – كثير"[2]، وقد تعرض معظمها إلى التلف والضياع حيث يقول عنها عبد المنعم القاسمي: "له مؤلفات جليلة كثيرة اشتهر أمرها بين الناس، لم يصل إلينا أغلبها"[3]. ونستطيع أن نقول كثرة هذه المؤلفات لدليل على سعة علمه ، وذكاء عقله، وحُبِهِ للتصنيف.

وقد ذاع صيت مؤلفاته وعلا ذكرها في المغرب وحتى في المشرق وانتفعوا بها، إلا أن البعض منها تعرضت للنقد والرد عليها وتصحيحها وجعلوا لها استلحاقات، كما كتب أبو عبد الله بن القطان على كتاب "الأحكام الصغرى" نكتا واستلحاقا[4]، وقد ألف هذا الأخير كتابا في مجلدين سماه " الوهم والإبهام فيما وقع من الخلل من الأحكام الكبرى لعبد الحق" رد فيه على كتاب الأحكام لابن الخراط وناقش فيه فيما يتعلق بالعلل وبالجرح والتعديل[5].

وكما قلنا سابقا أنه كان شاعرا ناظما، إذ قال عنه ابن الزبير: "كان يزاحم فحول الشعراء، ولم يطلق عنانه في نطقه"[6]، وله ديوان شعر في الزهد والتصوف وشؤون الآخرة[7]، ومن نظمه في الشعر حيث ذكر له ابن الأبار أبيات له ومنه قوله: (بحر خفيف)

إنَ في الموتِ والمعادِ لشُغْلاً ... واذكاراً لِذِي النُهي وبلاغاَ
فاغتنم خطتينِ قبلَ المناياَ ... صحةَ الجسمِ يا أخي والفراغاً.[8]

ومن شعره أيضا: (بحر بسيط)

---

(1) ابن الأبار: المصدر السابق ، ج3، ص121.
(2) الزركلي: المصدر السابق، ج3، ص281.
(3) عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص186.
(4) الغبريني: المصدر السابق، ص43، ابن الأبار: المصدر السابق ، ج3، ص250.
(5) الذهبي: المصدر السابق ، ج21، ص200.
(6) المصدر نفسه، ج21، ص201.
(7) عبد المنعم قاسم: المرجع السابق، 186.
(8) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121، ابن فرحون: المصدر السابق، ص277، المقري: المصدر السابق، ج4، ص 329، الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص201.

لا يخدعَنَكَ عن دينِ الهدى نَفَرُ ولم يُرْزَقُوا في التماسِ الحقِ تأييداً
عميَ القلوبِ عَرُوا عن كل فائدةٍ لأنهم كفروا باللهِ تقليداً.[1]

وقوله : (بحر بسيط)

قالوا صفِ الموتَ يا هذا وشدتهُ فقلتُ وامتدَ مني عندها الصوتُ
يكفيكمُ منه أن الناسَ إنْ وصفُوا أمراً يُرَوعهُم قالوا هوَ الموتُ.[2]

وذكر له المقري بيتا وأثنى على هذا البيت بأنه أفضل عنده من قصيدة، حيث قال ابن الخراط في هذا البيت: (بحر خفيف)

قد يساقُ المرادَ وهو بعيدُ ويُريد المريدُ وهو قريبُ.[3]

ولأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (ت581هـ) شعر في طريقة الزهد ومن قوله: (بحر سريع)

يا راكبَ الدَّعِ للذَّاتِهِ كأنَهُ في أتُنِ عَيْرُ
وآكِلاً كُلّ الذي يشتهِي كأنّهُ في كَلاّ ثَوْرُ
وناهضًا إن يَدْعُ دَاعِي الهوَى كأنهُ من خِفَّة طَيْرُ.[4]

وهذه الأبيات الشعرية السالفة الذكر توحي بأن ابن الخراط لم يكن عارفا بالعلوم الدينية فحسب بل له معرفة بالشعر أيضا، فكان شاعرا محسنا، إذ نظم قصائد بديعة.

وتوفي العلامة ابن الخراط ببجاية في العشر الأواخر من ربيع الثاني سنة 582هـ[5]، وعن عمر يناهز 71 سنة[6]، وقد كتب تاريخ وفاته على رخام قبره[1].

---

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص91، المقري: المصدر السابق ، ج4، ص117.
(2)ابن الأبار: المصدر السابق ، ج 4، ص58، الغبريني: المصدر السابق، ص55، المقري: المصدر السابق، ج4، ص315،316.
(3) المقري: المصدر نفسه ، ج5، ص327.
(4) الضبي: المصدر السابق، ج2، ص508.
(5) ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص121، الغبريني: المصدر السابق، ص44، ابن فرحون: المصدر السابق، ص277، ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص445.
(6) ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص445.

وفي الأخير نقول أن ابن الخراط كانت له نباهة ووجاهة وهمة ورفعة ببجاية، ونال بها دنيا عريضة، إذ هو من العلماء الكبار الموسوعيين الذي عرفه القرن السادس الهجري بالمغرب الإسلامي، حيث شارك في عدة علوم منها الحديث والفقه والأدب، وقد اشتهرت مؤلفاته في المغرب والمشرق مثل كتاب الأحكام الصغرى الذي تداوله الناس في أرجاء العالم الإسلامي، وقد ترك لنا علما ما زلنا إلى يومنا هذا ننهل منه من خلال مصنفاته النبيلة والمفيدة، ومهما تحدثنا حول ابن الخراط وإسهاماته العلمية فإننا لم نَستَوفِ الرجل حقه.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تح عبد السلام الهراس، دت، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995م.
2- بشكوال: الصلة، تح إبراهيم الأياري، ط1، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ودار اللبنانية، بيروت، 1989م.
3- البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1.
4- التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1989م.
5- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح بشار عواد معروف ومحي هلال الرحان، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1984م.
6- ابن الزبير: صلة الصلة، تح شريف أبو العلا العدوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.
7- الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
8- الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص44.

9- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م.
10- عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، 2007م.
11- ابن العماد: شذرات من الذهب في أخبار من ذهب، تح عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 1993م.
12- الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م.
13- ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح مأمون بن يحي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م.
14- ابن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تع عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م.
15- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دت، دار صادر، بيروت، 1988م.